

أسباب مضاعفة أجور الأمة الإسلامية



بقلم/ الأستاذ الدكتور
نعيم أسعد الصفدي

ألا يوجد غير الشيخوخة؟!

نور رياض عيد

لا يقتصر عمل الخير في مجال الإرشاد والتوجيه على تعليم الناس أحكام التلاوة والفقه، بل يشمل كل علم فيه الفائدة والخير، وقد قال (عليه الصلاة والسلام): «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يُتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا تَمَّ يَلْمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» [رواه ابن ماجه وضعفه الألباني].

يحتاج الناس إلى توعية وإرشاد في جوانب متعددة من حياتهم، ويخطئ من يظن أن دروس الوعظ التي تلقى في المساجد هي ما يفيد الناس فقط؛ فهم بحاجة إلى توجيه في الحياة الأسرية، وتربية الأبناء، والتعامل داخل البيت بطريقة تفصيلية عميقة لا سطحية، خاصة في ظل مجتمع تتزايد فيه نسب الطلاق والمشكلات الأسرية. وهم يحتاجون كذلك إلى إرشادات صحية تجنبهم ممارسة سلوكيات خطأ قد تسبب لهم أضراراً وألماً، وهم بحاجة أيضاً إلى إرشادات نفسية تساهم في دمجهم في مجتمعاتهم، وتعمل على التخفيف من توترهم وغضبهم، وتقيم شرور انفعالاتهم.

إن الجهل بهذه الأمور وأمثالها يورث الأمم والشعوب كوارث ومصائب؛ فعلى سبيل المثال: تعد مصر أكثر دول العالم إصابة بمرض التهاب الكبد الوبائي، وفي كل سنة هناك مائة ألف إصابة جديدة بهذا المرض في مصر، ويقدر عدد المصابين به بـ 25٪ من الشعب المصري، وهناك أسباب تتقف وراء ذلك، من أهمها السلوكيات الخطأ المتعلقة بالنظافة والتعقيم، خاصة في المستشفيات وعيادات الأسنان.

إن عدداً كبيراً من خريجي الجامعات من أصحاب التخصصات غير الشرعية أترهم في بناء مجتمعاتهم قليل ومحدود؛ نظراً إلى الفكرة الخطأ السائدة أنه لا يقف أمام الناس موحياً ومعلماً إلا الشيخ أو الواعظ.

لقد جاء الإسلام ليسعد الناس في حياتهم وأخرتهم، ورتب الأجر على كل عمل يساهم في ذلك، لذلك قال (عليه الصلاة والسلام): «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَمَّرَ لَهُ، وَقَالَ الْبَنِي (عليه الصلاة والسلام): «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورُ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ».

إن من سوء الفهم لهذا الدين أن يظن الشباب أنه لا يمكن لهم نيل الأجر والثواب، إلا إذا تكلموا للناس في علم الفقه أو العقيدة أو غيرهما من أقسام العلوم الشرعية، إن الفكرة الصحيحة التي يجب أن تسود هي أن أي علم يساهم في منفعة الناس يثيب رب العالمين صاحبه، وكلما زاد عدد المنتفعين ازداد أجر فاعل الخير وتضاعف؛ فالأجر على قدر المنفعة.

لقد عاب الإمام أبو حامد الغزالي على مسلمي زمانه انشغالهم بدراسة الفقه، وتركهم بقية العلوم الأخرى كالطب، وذلك للمكاسب المادية التي كان ينالها أهل الفقه من الأمراء، حتى أمست بعض البلدات المسلمة لا يوجد فيها طبيب مسلم واحد، فيذهب الناس إلى العلاج عند غير المسلمين، ثم لا نرى أحداً يشتغل به - أي الطب - ويتهاثرون على علم الفقه، لاسيما الخلافيات والجدليات، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع" يقول الغزالي.

وعلى خطى الغزالي نمضي قائلين: يرى الناس عدداً لا بأس به من الذين يلقبون أمامهم دروس الوعظ في المجالات الشرعية المختلفة، لكنهم يحتاجون إلى من يحسن تقريب العلوم النافعة الأخرى لهم، من علم نفس، وتربية، وإدارة، وتنمية بشرية، وقانون، وغيرها، وإن أجر من يفعل ذلك قد يفوق الوعظ المعروفين نظراً إلى الفائدة الأكبر التي من المتوقع أن يحققها.

لا يشكل إضافة كبيرة ذلك الطبيب أو الممرض أو المختص النفسي، الذي يقف أمام الناس ملقياً درساً وعظيماً كبقية الوعظ، بل قد لا يوفق كونه يتحدث في غير تخصصه، لكننا نريد منه ومن أمثاله أن يخدم الناس بتقديم نصائح وإرشادات علمية تتسم بالتبسيط والدقة في مجال تخصصه.

ملاحظة: أرجو ألا يفهم أحد من كلامي أنني أقلل من أهمية تفقيه الناس في أمور دينهم، وحاجتهم إلى الدعاة المميزين.

الحسنة"، وقال السَّعْدِيُّ: "ومثل العمل الذي يثمر أعمالاً آخر، ويقتدي به غيره، أو يشاركه فيه مشاركاً".

ومن أسباب مضاعفة الأجر: شرف الزمان:

مثل: العمرة في رمضان، وقيام ليلة القدر التي قال الله فيها: "ليلة القدر خير من ألف شهر" قال السَّعْدِيُّ في تفسيره: "أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خيز من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندشش له العقول؛ حيث من تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوَّة والقوَى بليَّة يكون العمل فيها يقابل

ويزيد على ألف شهر؛ عمر رجل معمر عمراً طويلاً نيفاً وثمانين سنة". ومن الأسباب: شرف المكان؛ كالصلاة في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى. ومن

الأسباب: شرف العمل؛ حيث روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشَيْءٍ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِأَسْرَعٍ". قال الخطابي: "هذا مثل، ومعناه حُسن القبول، ومضاعفة الثواب على قدر العمل الذي يتقرب به العبد إلى ربه، حتى يكون ذلك ممثلاً بفعل من أقبل نحو صاحبه قدر شبر، فاستقبله صاحبه ذراعاً، وكمن منشى إليه، فهورل إليه صاحبه قبولا له وزيادة في إكرامه".

الموضوع تتمة، والحمد لله رب العالمين.

الصَّدَقَةُ أَغْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: "أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَجِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْغِنَى، وَلَا تُهْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُومَ، قُلْتَ لِغُلَّانٍ كَذَا، وَلِغُلَّانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِغُلَّانٍ". قال ابن بطال: "فيه أن أعمال البر كلما صُغِبَت كان أجرها أعظم؛ لأن الصحيح الشحيح إذا خشى الفقر وأمل الغنى صُغِبَت عليه النفقة، وسؤل له الشيطان طول العمر وحلول الفقر به؛ فمن تصدَّق في هذه الحال فهو مؤثِّر لثواب الله على هوى نفسه".

وقال النووي: "هذا ظاهر في أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثره النصب والنفقة، والمراد: النصب الذي لا يذمه الشرع، وكذا النفقة".

ومن أسباب مضاعفة الأجر: التحويل وتعدي النفع، قال ابن دقيق العيد: "من ذلك أيضاً: أن فضل الله تعالى يتضاعف بالتحويل، في مثل أن يتصدَّق الإنسان على فقير بدرهم، فيؤثِّر الفقير بذلك الدرهم فقيراً آخر هو أشدَّ منه فقراً، فيؤثِّر به الثالث رابعاً، والرابع خامساً، وهكذا فيما طال، فإن الله تعالى يحسب للمتصدَّق الأول بالدرهم عشرة، فإذا تحوَّل إلى الثاني انتقل ذلك الذي كان للأول إلى الثاني، فصار للثاني عشرة دراهم، وللأول عن عشر

مئات، فإذا تصدَّق بها الثاني صارت له مائة وللثاني ألف وللأول ألف ألف، وإذا تصدَّق بها صارت له مائة وللثاني عشرة آلاف؛ فيضاعف إلى ما لا يعرف مقداره إلا الله تعالى".

وذكر ابن حجر من أسباب المضاعفة، "تعدي النفع كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والسنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه سلسلة مهمة جداً من المقالات المفيدة اقتطفتها من رسالة دكتوراة في الحديث الشريف بعنوان "مضاعفة الأجر في السنة النبوية دراسة موضوعية" للباحث محمد كلاب حيث شرفت بالإشراف عليها فأحببت أن أفيد وأنشر هذا العلم النافع المفيد الذي فيه بيان لمكانة الأمة الإسلامية عند الله تعالى وفضلها على الأمم، حيث عوض الله تعالى قلة أعمار أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة للأمم السابقة بأعمال قليلة وأجر عظيمة تجعل من قام بها يسبق الأمم السابقة كلها، وهذا الموضوع من الأهمية بمكان حيث يحيي في المسلمين روح التنافس في الإقبال على الله تعالى من خلال الالتزام بأوامره.

ذكرنا في المقال السابق سببين لمضاعفة الأجر وسنزيد أسباباً أخرى مهمة أدت إلى مضاعفة الأجر منها: مشقة الحسنة الحاصلة بأدائها، قال ابن دقيق العيد: "الأجر قد تتفاوت بحسب زيادة المشقات، لا سيما ما كان أجره بحسب مشقته، إذ لمشققته دخل في الأجر". ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ

د. أحمد إدريس عودة

أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

أمنة الأمة

الصَّحَابِيُّ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِنْ لَوْ تَدَوَّمُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طَرَفِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [رواه مسلم].

شهد رضي الله عنه القادسية، ونزل الكوفة، وكان ممن تخلف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال أهل البصرة يوم الجمل، ونزل قرقيسية حتى مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. ولما توفي رحمه الله جزعت عليه امرأته فنهتها جاراتها، وقلن: إن هذا يحبط أجرك، فقالت:

تعجبت دعد لمحزونة ... تبكي على ذي شبيبة شاحب

إن تسأليني اليوم ما شفني ... أخبرك قولاً ليس بالكاذب

إن سواد العين أودي به ... حزن على حنظلة الكاتب

رضي الله تعالى عن حنظلة وعن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين.

حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بن صيفي بن رباح التميمي، يكنى أبا ربيعي، ويقال له: حَنْظَلَةُ السَّيِّدِيُّ، ويقال له: حَنْظَلَةُ الْكَاتِبِ، لأنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن أخي أختهم بن صيفي حكيم العرب.

يقول حَنْظَلَةُ رضي الله عنه: لِقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سَبِحَانَ اللَّهُ مَا تَقُولُ، قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّبِيَّاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنْ لَتَلَقَى مِثْلَ هَذَا، فَنَاطَلْتِ أُنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَلِكَ؟، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّبِيَّاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

فرحة العالم دائمة، ومجده خالد، وذكره باقٍ، وفرحة المال منصرمة، ومجده إلى زوال، وذكره إلى نهاية.

وصية اليوم:

عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِقَامَةُ حَدِّ مَنْ حُدُّوا اللَّهُ، خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فِي بِلَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

حديث شريف: